العنوان:	شعر ابن حزم
المصدر:	حوليات الجامعة التونسية
الناشر:	جامعة منوبة - كلية الآداب والفنون والإنسانيات
المؤلف الرئيسي:	الطرابلسي، محمد الهادي
المجلد/العدد:	ع 9
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1972
الصفحات:	151 - 176
رقم MD:	127118
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo, AraBase, HumanIndex
مواضيع:	الأندلس ، الشعر العربي ، الشعراء العرب، الدواوين والقصائد ، نقد الشعر ، ابن حزم ، علي بن أحمد ، ت 456 هـ ، الشعر الأندلسي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/127118

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA
الطرابلسي، محمد الهادي. (1972). شعر ابن حزم.حوليات الجامعة التونسية، ع 9، 151 - 176. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/127118

إسلوب MLA
الطرابلسي، محمد الهادي. "شعر ابن حزم."حوليات الجامعة التونسيةع 9 (1972): 151 - 176. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/127118

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

شعـــر ابن حـــزم

بقلم : محمد الهادي الطرابلسي

تجاوزت شهرة ابن حزم آفاق البيئة العربية إلى غيرها من البيئات وقد قامت هذه الشهرة خاصّة على تآليفه الفكريّة الكثيرة وانتشارها منذ عهده في الأندلس وغير الأندلس ، ممّا يفسّر عناية جلّ أصحاب التّراجم المتأخّرين عنه به وبآثاره (1) . واشتهر بأنه موسوعة ضمّت إلى الفقه والدّراسات الإسلاميّة ، الأدب والشعر وجلّ صنوف المعرفة ، إلاّ أنّ الدّارسين اليوم لم يعتنوا بنشاطه الشعري بقدر ما اعتنوا بنشاطه الفكري ، لأنّ القسم الضئيل الباقي من هذا الشعر طغت على جملته الصّبغة الذهنيّة . فلا سبيل إذن إلى الحديث عن دراسة شاملة لشعر ابن حزم فليس بين أيدينا إلاّ مصادر قديمة تحدّثت عن شعره عرضا وقد ورد هذا الحديث متقاربا من مصدر إلى آخر أو مراجع حديثة درست هذا الشعر دراسات طفيفة خاطفة (2) . ونحن لا نكاد نظفر ، لا هنا ولا هناك إلاّ بفوائد قليلة

(1) أول من اعتنى به تلميذه الحميدي المتوفي سنة 488هـ في «جذوة المقتبس ... » ط. القاهرة سنة 1371هـ. ص 290 عدد 708 ، وما ذكره الحميدي ردده أصحاب التراجم بعده مع زيادات .

(2) ولعل أهمها الفصل الذي خصصه احسان عباس لشعرابن حزم بكتابه « تاريخ الأدب الأندلسي – عهد سيادة قرطبة» بيروت ط 1 1960 من ص 245 .

موجزة وكلّها تتناول ما ورد من هذا الشعر في رسالة « طوق الحمامة » فحسب .

ولا شكّ أنّ دراسة شعر ابن حزم هامّة وذلك — على الأقلّ — لأنّ هذا الشعر يعتبر مكمّلا لشخصيّة الرّجل وموضّحا لكثير من ظروف حياته ولكثير من الغموض الطّارىء على بعض آثاره ومساهما في تنشيط الحركة الشعريـــة في عصـــره .

وفي انتظار أن يحظى شعر ابن حزم بدراسة ضافية (3) ، فإنّنا نعتزم هنا وضع إطار عامّ من شأنه أن يكون نقطة انطلاق لدراسة أوسع ، بضبط ما وصلنا إلى حدّ الآن من شعره وتحقيق قطعة من شعره أيضا ظفرنا بها منذ مدّة ، نعرّف بها اليوم وننشرها .

وليس من الغريب أن نرى ابن حزم الفقيه الظاهري ينصرف من حين إلى حين إلى قول الشعر . فالعرف السائد في الأندلس إذّاك يقضي بعدم التّخصّص في لون واحد من ألوان المعرفة ويشجّع على الأخذ من كلّ فنّ بطرف ، بالإضافة إلى أنّ صاحبنا حظي بتكوين مزدوج ، جانب منه كان يؤهّله إلى الآداب وآخر كان يؤهله إلى العلوم الدّينيّة ، وعاش في ظروف ساعدته على قول الشعر منها تربيته بين أحضان النّساء وتلقّيه لديهنّ أوّل مبادىء المعرفة وقد دَرَّبَهُ أبوه منذ عهد الطّفولة على حفظ قصائد جيّدة لمشاهير شعراء العرب ، وقد راعى أساتذته بعد ذلك هذه الظاهرة في نفسه ، ممّا جعل الشاعر الشاب يقتحم مجالس العامريّين الشعرية بروح قادرة ، فتهذّبت ملكته في هذه المجالس ورقّت (4) .

(3) نفكر في العودة إلى شعر ابن حزم بالبحث قريبا .

(4) أهم ما نعتمد لنستمد أخبار شاعرنا رسالته «طوق الحمامة» خاصة .

ويذكر الدّارسون أنّ ابن حزم كان شاعرا قديرا ، ويذكرون (5) ، أنّ له ديوانا شعريّا كتبه في صباه وأنّ له أشعارا تضمّنتها رسالة « طوق الحمامة » . على أنّ الذي بلغنا من شعر ابن حزم إلى الآن ورد مشتّتا في المصادر ، هكذا ورد نحو 700 بيت من الشّعر في « طوق الحمامة » و12 بيتا في « كتاب الأخلاق والسّير » (6) و48 بيتا في كتب التراجم (7) و316 بيت نشرها احسان عبّاس في آخر كتابه « الأدب الأندلسي — عهد سيادة قرطبة (8) » . فيكون وصلنا في الجملة إلى حدّ الآن نحو 1076 بيت من الشعر لابن حزم . على أنّ احسان عبّاس أشار في كتابه المذكور إلى أنّ ما نشره لابن حزم من شعر ليس إلاّ جزءا من ديوان لابن حزم محفوظ بالمكتبة التّيموريّة بالقاهرة (9) ، وقد أسعفنا الحظّ بأن ظفرنا بصورة من هذا الدّيوان المنسوب لابن حزم (10) ، ومنها استخلصنا للتّحقيق والنّشر أشعارا لم ترو في كتب التّراجم ولم تعرف ونرجّح أنّها لابن حزم .

---

(5) أول من ذكر ذلك الحميدي على أنه لم يدل على « الديوان » بلفظه ، قال في «جذوة المقتبس ...» ص 290 ؛ « ... وشعره [ابن حزم] كثير ، وقد جمعناه على حروف المعجم » .

(6) ص 57–58 بتحقيق Nada Tomiche ، بيروت 1961 .

(7) متفرقة فيها ومتعددة المواضع ويبدو أنها مقتطفات من قصائد طويلة ضاعت .

(8) بيروت ط 1 1960 من ص 291 إلى ص 333 .

(9) يقول إنه اعتمد : «قطعة من ديوانه [ابن حزم] (مخطوط بالمكتبة التيمورية)» .

(10) أخذنا هذه الصورة في نوفمبر سنة 1967 من السيد عبد المجيد التركي واطلعنا على رسالة بعث بها إليه من القاهرة فؤاد السيد صحبتها بتاريخ 22 أوت 1964 ، ونقتطف من الرسالة ما يهم هذه الأشعار فيما يلي :

«النسخة ... مصورة على الفوتوستات ومسجلة تحت رقم ز/16302 وقد صورتها دار الكتب سنة 1946 عندما عرض أصلها على البيع الشيخ السفرجلاني الدمشقي ولم يقع الاتفاق معه على الثمن ولا يعرف حاليا مصير هذا الأصل وتتكون النسخة من 71 لوحة وخطها مقروء واضح وتميل إلى الصحة وكانت من أملاك أحد مفتي المدينة سنة 1251هـ . ونقتطف من رسالة أجابنا بها السيد مدير دار الكتب المصرية بتاريخ 26 مارس 1968 ، ما يلي : « ... هذا الديوان صور في سنة 1946 عن نسخة يملكها السيد محمد السنوسي ولا يعلم عنوانه » .

فنرجح هكذا ، أن الديوان — حسبما تضمنته صورته من إشارات ستوضح في محلها من هذا البحث ، وحسبما اقتطفنا من الرسالتين الفارطتين — انتهى إلى السيد محمد السنوسي سنة 1315هـ بعدما كان ملكا لبعض مفتي المدينة — وهو مصطفى بن تاج الدين بن الياس — سنة 1251 ، ثم انتهى إلى الشيخ السفرجلاني الدمشقي وضاع .

والناظر في صورة هذا الشريط يلاحظ أنّ الخطّ فيها واضح ولكنّه يكتسي بعض العسر في بعض اللّوحات من جرّاء السّحب . كما يلاحظ أنّها تتضمّن 142 صفحة مرقّمة من 1 إلى 142 ، موزّعة على 71 لوحة كلّ لوحة منها تتضمّن صفحتين .

أمّا الصّفحة الأولى (11) من اللوحة الأولى فتتضمّن حمدلة وتصلية بالخطّ الثلثي ، وتحتها ما يلي « ديوان ابن حزم » ممّا لا يترك للقارىء شكّا مبدئيا في صحّة نسبة هذه الأشعار لابن حزم ، وتحت ذلك ، بنفس الخطّ نجد هذه العبارة « ملك مصطفى » وهو المفتي الذي كان يملك أصل « الدّيوان » ، وإثر ذلك نجد طابعا في شكل مثلث تضمّن هذه العبارة : « مطبعة دار الكتب المصرية — قسم التصوير — 1946 » .

أمّا الصفحة الثانية فبيضاء لا شيء فيها ، وتليها اللّوحة الثانية وتحمل صفحتاها رقمي 6 و7 ، ولا يبدو أنّه سقطت أشعار بين اللّوحة الأولى والثانية ، خاصّة وأنّنا نجد هذه العبارة في بداية أوّل قصيدة في ص 6 (12) : « باسم الله الرّحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آل محمد وسلّم ، قال الفقيه ... » ذلك دليل على أنّ مجموعة الأشعار تبتدىء في هذه الصفحة وأنّه لم يسبقها غير المقدمة .

ثمّ تتوالى الأشعار بعد ذلك ، في معدّل 20 سطرا في الصّفحة الواحدة تقريبا ، وقد بدت فيها بعض التصحيحات في الطرة لعبارات قد ضُرب عليها في المتن وشروح لبعض المفردات ولكنّها قليلة حتّى نصل إلى اللوحة رقم 70 (13) فنقرأ في آخر صفحتها الثانية هذه العبارة الخاتمة « الحمد لله ربّ

---

(11) انظرها فيها ورد في ص 163 .

(12) هي من القصائد التي نشرها احسان عباس في كتابه المذكور ،وهي القصيدة الي رد فيها شاعرنا على القصيدة التي وردت من النقفور ملك النصارى وسيأتي الحديث عنه في حاشية ص عدد 155 وعنها في متن نفس الصفحة .

(13) انظرها في ص 173–176 .

العالمين وصلاته على محمد عبده ورسوله وعلى آله وعترته الطّاهرة » ، ممّا يجعلنا نجزم بأنّ الأشعار التي بين أيدينا هي كلّ ما جمع من شعر ونسب لابن حزم على أنّه ديوانه ، وتلي ذلك الصفحة الأولى من اللوحة رقم 71 وبها خاتم في شكل دائرة ونصّه : « فيض الفاتح القدوس السيد محمد بن السيد علي بن السنوسي سنة 1315هـ » وبجانب الخاتم تمليك جاء فيه : « تملّكه الفقير إلى ربّه مصطفى بن تاج الدين بن الياس ، مفتي المدينة المنوّرة سنة 1251 » . ونجد في الصّفحة الثانية من نفس اللّوحة طابعا آخر لدار الكتب المصريّة يتضمّن نفس العبارة المذكورة سلفا .

ومن الملاحظ أنّ هذا الدّيوان لا يخضع إلى نظام أبجدي ولا تاريخي ولا نرى الأشعار فيه مجموعة حسب الأغراض ، على أنّنا نجد في صفحة 20 من اللّوحة التاسعة هذه العبارة ، وقد صدّر بها الناسخ القصيدة التي وردت من النّقفور ملك النّصارى (14) «وهذه القصيدة التي وردت من ملك النصارى يذكر فيها ما أخذ الرّوم من بلاد الثّغور وقد تقدّم جواب الفقيه رضي الله عنه عنها وأخّرناها لأمر » .

وهذا الأمر ليس في رأينا إلاّ قصد تصدير الدّيوان بأحسن ما فيه ذكر للّه ومدح لجلالته من أشعار . ويزيد هذا الرّأي تدعيما موضوع القصيدة الأولى الواردة في الدّيوان ، فهو يقوم على إثبات حدوث العالم وصحّة نبوّة محمد . وإذا علمنا أنّ النّاشر أورد قصيدة كاتب النّقفور بعد أن روى أشعارا أخرى لابن حزم لا تتّصل بها ، علمنا نزعته إلى تصدير الدّيوان كذلك بما يعتقد أنّه من عيون أشعار الرّجل .

(14) هو النقفور الثاني فوقاس Nicéphore Phokas ولد حوالي س 913م وكان امبراطورا بين 963–969م . وقصيدته كانت مرسلة إلى أمير المؤمنين المطيع (946–974) بالمشرق وقد نظمها له كاتب مرتد .

وبعد هذه التّحقيقات كلّها لا يسع الإنسان إلاّ أن يواصل مطالعة « الديوان » على أنّه لصاحبنا ابن حزم ، ولكنّه سرعان ما يفاجأ بحقيقة أخرى ، وهي أن يشكّ في هذه النّسبة وأن يعود توا إلى « اللّزوميات » . فيلاحظ أن أكثر هذه الأشعار إنّما هي للمعرّي لا لابن حزم وأنّها منشورة برمّتها هنا وهناك في جزئي اللّزوميات ويبدأ هذا الشكّ منذ أعلى صفحة 26 من لوحة 12 ، حيث نجد هذه العبارة « وقال أيضا رضي الله عنه ، هذا من شعر المعرّي ليس هو لابن حزم » .

والذي لاحظنا هو أنّ ما سبق هذه اللّوحة ليس فيه أشعار للمعرّي ، وأنّ جلّ ما ورد بعدها ، إنّما هو للمعرّي .

وهكذا بعد ضبط دقيق رأينا ضرورة تصنيف هذه الأشعار إلى ثلاثة أقسام :

— القسم الأول والأكبر يتضمّن أشعارا للمعرّي واردة في اللّزوميات(15)

— ويتضمّن القسم الثاني قصيدة وردت من ملك النّصارى النّقفور تقع في 67 بيتا (16) .

— ومجموعة صغيرة من الأشعار هي لابن حزم وتقع في 445 بيت ، وقد نشر احسان عباس في كتابه المذكور 316 بيت منها في صفحات 291—333 .

فتبقى لنا 129 بيت من الشعر في 4 قصائد وبيت يتيم ، تتضمّن أطولها 13 بيتا معروفة رواها أصحاب التراجم متفرّقة كما سوف نذكر (17) ، أمّا البقيّة فأشعار نرجح أنّها لابن حزم لم تنشر بعد ولم تعرف ننشرها إثر هذا البحث ونعرّف بها ، وهي الباعث الأوّل على هذا العمل .

---

(15) هي متفرقات وأحيانا قصائد كاملة من هنا وهناك من اللزوميات على ترتيبها المعروف في اللزوميات أحيانا وأحيانا أخرى في ترتيب آخر . وقد تكون المقارنة بين هذه القطعة من شعر المعري والصورة التي وردت عليها في اللزوميات مفيدة .

(16) أنظر التعليق عليها في ص 155

(17) هي الأبيات عدد 16 و17 ومن 48 إلى 58 من البائية المرفوعة أنظر ص 164—169 .

والملاحظ أنّ هذه الأشعار التي نعرّف بها اليوم لم ترد متوالية في هذه المجموعة وإنما متخلّلة أشعار المعرّي ، بينما وردت القطعة التي رواها احسان عبّاس متتابعة ومتضمّنة لقصيدة النّقفور .

وفي الحقيقة ليس من الصّعب أن يلاحظ الإنسان أنّ أكثر أشعار هـذا « الديوان » للمعرّي لا لابن حزم وذلك لأسباب :

– أوّلها أنّ اسم المعرّي ذكره النّاسخ مرّة مثبتا أنّ بعض الأشعار له وإن هي نسبت لابن حزم (18) .

– وثانيها أنّ المتدرّب على روح المعرّي لا يكاد يفتقد هذه الرّوح في كثير من هذه الأشعـار .

– وثالثها أنّ جلّ هذه الأشعار تحوم حول موضوعات ما ورائية ، ونحن نعلم أنّ الماورائيات كانت مصدر إلهام أبـي العلاء في اللّزوميات .

ونرى أنّ الخلط بين شعري هذين العلمين ربّما وقع لهذه الأسباب :

– تقارب مجموعة هذه الأشعار في الغرض وخلوّها من الأغراض التّقليديّة الأخرى المعروفة كالغزل والمدح والهجاء (19) .

– نزعة كلّ من المعرّي وابن حزم – وخاصّة في كهولتهما – إلى طرق مثل هذه الاغراض ، فقد اتّفقا في النظر إلى الدّنيا بنفس المنظار وكلاهما انتهى من تجربة الدّنيـا صغيرا إلى ضرورة الصّدّ عنها والعمل على مناهضتها وإن هما اختلفا في طريقة هذا الصّدّ .

– عيشهما في نفس الفترة وإن في بيئات مختلفة (20) .

(18) أنظر ص 156 .
(19) مصدر الإلهام فيها الماورئيات ويغلب عليها التشاؤم .
(20) ابن حزم (384 = 456/994 = 1064) والمعري (379 = 460/979 = 1058) .

وإنّه من المفيد جدّا الآن أن نعود إلى شعر ابن حزم كلّه بشيء من التّمحيص والتّأمّل لنضبط خصائصه وفوائده ، ولكن رأينا أن نقتصر في هذا البحث على النظر فيما اكتشفنا له من شعر وأن نقول فيه كلمة مقدّمة سريعة ليس إلاّ .

أما تفصيل هذه الأشعار فكما يلي :

1 — قصيدة في الإخوانيّات من البسيط وهي آخر ما ورد في المجموعة، قافيتها نون مكسورة وتقع في 32 بيتا وتتضمّن تحليلا لأثر بعد الأحبّة في نفس الشاعر (21) .

2 — وقصيدة في الفخر من البسيط ، قافيتها باء مكسورة وتقع في 26 بيتا ، يفخر فيها ابن حزم بمنزلته الفكرية السّامية مبيّنا أنّه مطمئنّ في إدباره عن الدّنيا بقلب غير متعطّش ولا محروم (22) .

3 — وقصيدة في الفخر والعتاب من الطويل وقافيتها باء مضمومة وتقع في 59 بيتا ، وسيأتي الحديث عنها مفصّلا (23) .

4 — وقصيدة في التّشاؤم من الطويل وقافيتها دال مضمومة وتقع في 11 بيتا وموضوعها : حدس الشاعر بقرب الفناء وتأسّفه لوشك مفارقته زاده العلمي (24) .

5 — وأخيرا بيت مفرد من الطويل في الغزل (25) .

وقد حاولنا ضبط تواريخ هذه القصائد الأربع والبيت المفرد وتعيين مناسبات قولها ولكنّنا لم نصل إلاّ إلى نتيجة عامّة تتعلّق بهذه القطعة كلّها

(21) انظرها في ص 173–176 .
(22) انظرها في ص170–172 .
(23) انظرها في ص 164–169 .
(24) انظرها في ص 172–173 .
(25) انظره في ص 169 .

استخلصناها من النّفس العامّ الغالب عليها وذلك أنّنا نرجّح أن يكون ابن حزم قال مجموعة هذه الأبيات في طوره الثاني أي بعد أن تقزّز من الحياة أي بصورة أدقّ بعد أن تجاوز مرحلتي الطفولة والشّباب وأتمّ دراسته (26) ، ولم نتمكّن إلاّ من ضبط تاريخ قصيدة واحدة من المجموعة وضبط ظروف قولها ، وهذه القصيدة هي التي قافيتها باء مضمومة (27) . فالشاعر خاطب في هذه القصيدة أبا المطرّف (28) مفتخرا معاتبا . وأبو المطرّف هذا ، هو عبد الرّحمان بن بِشْر قاضي الجماعة بقرطبة (29)،ولي القضاء من سنة 407هـ إلى سنة 419هـ ، وتوفّي سنة 422هـ (30) .

وقد روى أصحاب التّراجم من هذه القصيدة 13 بيتا متفرّقة (31) جمعها طه الحاجري واعتبرها قصيدة قائمة الذات وحاول ضبط تاريخ قولها فانتهى إلى حصره بين سنتي 421 و422هـ (32) ، إلاّ أنّنا نرى – بالاعتماد على كامل القصيدة – أن يكون شاعرنا قالها قبل هذا التّاريخ ، لأنّ أبا المطرّف لم يبق قاضيا إلاّ نحو 13 سنة ، من سنة 407 إلى 419هـ ، وابن حزم لا يرجّح أن يكون قال قصيدته إلاّ وأبو المطرف قاض ، إذن قبل سنة 419 . ثمّ إنّ ابن حزم يشير في قصيدته هذه إلى أنّه بلغ 25 سنة أو تجاوزها إذن بلغ سنة 409 أو تجاوزها ، وذلك في قوله مفتخرا بتحصيل العلم :

وَأَنْسِيَ مُذْ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ حِجَّةً
أَرُوحُ وَأَغْدُو وَهْوَ صَارِمِيَ الْغَضْبُ (33)

(26) فتور الكهولة وبداية الشيخوخة ظاهرة في كثير من أبيات هذه القطعة .
(27) ص 164–169 .
(28) استنتجنا ذلك من العبارة التي قدم بها الناسخ لهذه القصيدة ، أنظر أعلى ص 164 .
(29) الحميدى ، جذوة المقتبس ، القاهرة ، 1952 ، ص 25 .
(30) النباهي «تاريخ قضاة الأندلس» مصر 1848 ص 87–89 ، ابن بشكوال «الصلة» القاهرة 1955 ، 1 ، ص 313 .
(31) سنشير إليها في محلها من القصيدة .
(32) طه الحاجري «ابن حزم ، صورة أندلسية» دار الفكر العربي د.ت. 182–184 .
(33) انظره في البائية المضمومة ، ص 166 بيت 24 .

وهكذا ننتهي إلى حصر تاريخ هذه القصيدة بين سنتي 409 و419هـ . وهذة القصيدة رسالة شعرية تضمّنت صرخة عالية لحالة نفسيّة مضطربة كان يعانيها ابن حزم من ألم الاضطهاد الذي لاقاه من معاصريه ، إلى درجة أنّه أصبح يشعر بغربة روحيّة كبرى وهو في بلده وبين أقرانه ، هي غربة كغربة الأنبياء ، وقد كان عبّر عن هذه الأزمة نثرا وهو هنا يعبّر عنها شعرا .

نتساءل الآن : ما هو حظّ هذه الأشعار المكتشفة من بلورة الغموض الطارىء على شعر ابن حزم ؟

وتمهيدا للجواب عن هذا السؤال نرى من الضروري أن نُثِيرَ مشكلا طالما خاض فيه دارسوّ ابن حزم بسبب ما لاحظوا من ورود كثير من أشعار الرّجل متخلّلة الفصول النّثريّة في رسالة «طوق الحمامة » ويتمثّل هذا المشكل في معرفة . هل إنّ ما وصلنا من شعر ابن حزم في بعض رسائله وخاصّة في « طوق الحمامة » وفي بعض كتب التراجم جزء من الديوان أم هل هو مستقلّ عنه ؟ فإذا كان ما وصلنا جزء من الديوان فما السرّ في تأليف « طوق الحمامة » على تلك الطّريقة الطريفة ؟ وإذا كان مستقلاّ عنه فكيف نفسّر بتر بعض القصائد الواردة في الطوق ؟

بحث في هذه المشاكل أوّلا الأستاذ ليفي بروفنسال وأبدى رأيه في القضيّة في فصل كتبه في مجلّة الأندلس (34) ، وملخّص هذا الرّأي أنّ القطع الشعرية الواردة في الطوق مبتورة . وكذلك الفصول النّثريّة وأورد لتدعيم ذلك حججا قويمة وانتهى إلى الاعتقاد أنّ الطوق هو نفسه الديوان تحيط بأشعاره تفاصيل نثرية وأخبار من شأنها أن تكون شاهدة على ما يرويه . كما يرى أنّه يمكننا أن نعتبر أنّه وجدت نسختان للطوق في عهد ابن حزم

(34) « الأندلس » XV ، 1950 ص 335–375
« En relisant le Collier de la Colombe » : Lévi Provençal

نفسه نسخة كاملة وأخرى مختصرة وقد يكون الشاعر هو نفسه الذي اختصر الثانيـة .

وناقش الأستاذ روجـي أرنلداز هذا الرّأي وبيّن موقفه من هذه القضيّة في مقدّمة كتاب له عن ابن حزم (35) ، فذهب إلى أنّ الشاعر انطلق ليؤلّف كتابا في الحبّ نثرا وشعرا وقد اضطرّ إلى الاستشهاد ببعض قصائد ديوانه وبعض أبيات أخرى ألحقها بالطوق ، وهكذا يكون ألّف الطوق ثمّ عاد إليه بالمراجعة فالزيادة .

فالفرق بين الرأيين هو أن طوق الحمامة هو نفسه الديوان حسب ليفـي بروفنسال . أمّا حسب روجـي أرنلداز فالكتابان مستقلاّن إلاّ أن الطوق متضمّن لأشعار وردت في الدّيوان . أمّا اليوم – وقد اكتشفنا قطعة أخرى من شعر ابن حزم – فنستطيع أن نقول كلمة فاصلة في هذه المشاكل . أو تكاد ذلك أنّنا نستطيع أن نعتقد الآن أنّ رسالة طوق الحمامة مستقلّة عن الديوان ، إذ لا شـيء في القطعة التي بين أيدينا ممّا جمع وسمّـي « ديوان ابن حزم » يتّصل برسالة طوق الحمامة لا من حيث الشكل ولا من حيث المضمون ، بل كلّ ما فيها يوحي باستقلال أحد الكتابين عن الآخز (36) إلاّ أنّ هذا الرّأي لابدّ من أن نشفعه بشـيء من الاحتراز ذلك لأنّنا لا نرى أنّ هذه القطعة مع ما نشره احسان عباس هـي كلّ ديوان ابن حزم بل نعتقد أنّ للرّجل أشعارا أخرى لم تظهر بعد ، فأين أشعار الصّبا ؟ وأين أشعار الغزل الغضّ ؟ نحن لا نكاد نظفر من ذلك إلاّ بما ورد في طوق الحمامة خاصّة وما نعتقد أنّه مبتور ناقص .

(35) « Grammaire et thécologie chez Ibn Hazm de Cardora » : Roger Arnaldez باريس 1956 . انظر المقدمة ص 21 .

(36) من حيث الشكل لا أثر لتقارب في السياق ولا في ظروف القول ومن حيث المضمون لا أثر لتقارب من حيث الأغراض والموضوعات خاصة .

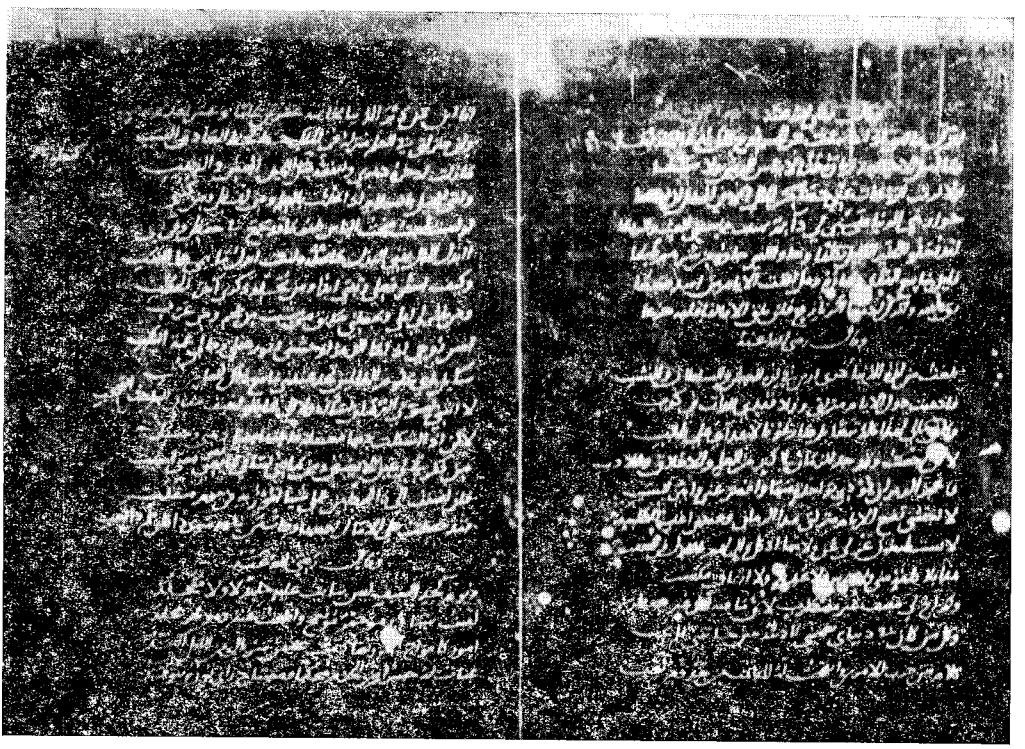

هـذه اللوحة عـدد 69 (ص 140 ـ 141) من المجموعة الشعرية وباعلى ص 140 قطعة من شعر المعـري واثرها البائية المكسورة وتنتهـي في ص 141 ، وفـي آخر ص 141 بدايـة الـداليـة المرفوعـة ، ونرجح ان كلا منهما لابـن حـزم .

وهكذا نرى أنّ القطعة التي نحقّقها اليوم من شعر ابن حزم تساهم بقسط كبير في إلقاء أضواء هامّة على حياة الشاعر أوّلا وعلى شخصيّته ثانيا وعلى آثاره خاصّة وعلى الشعر العربي بالأندلس إذّاك عامّة .

فأكثرها يصوّر لنا بجلاء عنف الأزمة النّفسيّة التي كان يعانيها الشاعر وهو على عتبة الكهولة من جرّاء تألّب الأعداء عليه وتقدّم لنا ألوانا مختلفة من العذاب الذي كان يلقاه الشاعر في جهاده في سبيل الله ، وتوضّح لنا كذلك بعض مقوّمات شخصيّته فترينا الشاعر على جانب كبير من حدّة النّفس ورقّة الشعور وتوضّح الإخلاص الذي كان يكنّه الشاعر لعقيدته ومذهبه وأصدقائه كذلك . ونرى أنّ هذه الأبيات ممّا يزيد ترجيحا الرأي الذّاهب إلى اعتبار « رسالة طوق الحمامة » المعروفة ، مستقلّة عن « ديوان » ابن حزم ، الذي أصبحنا اليوم نعرف منه نصيبا لا بأس به . ثم إنّ هذه الأبيات تجعلنا نتبيّن بأكثر دقّة الأغراض التي كان يقصد إليها شعر الأندلسيين في تلك الفترة ، والنحو الذي كان جاريا عليه .

وفيما يلي ننشر مجموعة الأشعار المكتشفة مرتّبة حسب المحلّ الذي جعلها فيه الناسخ من أشعار المعرّي .

[نصّ ما ورد في الصّفحة الأولى من اللّوحة الأولى من المخطوط]

لاَ إلاَهَ إلاّ اللهُ مُحَمّدٌ رَسُولُ اللّهِ ، اللّهُ هُوَ الحَقّ الحَيّ القَيّومُ
لاَ إلاَهَ إلاّ اللّهُ . الوَاحِدُ القَهّارُ ، نِعْمَ الحَافِظُ ،
اللّهُ نِعْمَ القَادِرُ ، اللّهُ نِعْمَ النّاصِرُ ، اللّهُ مُقَدّرُنَا ،
فَنِعْمَ القَادِرُونَ ، اللّهُمّ صَلّ عَلَى مُحَمّدٍ وَآلِ مُحَمّدٍ وَسَلّمْ .

ديوَانُ « ابْنِ حَزْمٍ »
مِلْكُ مُصْطَفَى

مطبعة دار الكتب المصرية
قسم التصوير
1946

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُخَاطِبُ أَبَا المُطَرِّفِ (37) :

طويل

1 أَخٌ لِيَ مَشْكُورُ الْمَسَاعِي وَسَيِّدٌ
تَسُرُّ بَوَادِيهِ إِذَا سَاءَكَ الصَّحْبُ

2 أَلَمَّ يُجَالِينِي جَلاَءَ مُجَرِّبٍ
عَلَى أَنَّهُ حَقًّا بِيَ الْعَالِمُ الطَّبُّ

3 يُطَالِعُ فِي سُبْلِ البَلاَغَةِ مَذْهَبِي
وَهَلْ يَسْتَوِي مِنْهَا لِيَ الحَزْنُ وَالسُّهْبُ

4 وَكَيْفَ أَنَا فِيهَا إِذَا مَا تَشَعَّبَتْ
وَضَاقَ عَلَى طُلاَّبِهَا الْمَنْهَجُ الرَّحْبُ

5 فَلُحْتُ لَهُ خربت غفل (38) وَمَجْهَلٍ
يَضَلُّ لَدَيْهِ النَّجْمُ وَالْقَشَمُ النَّكْبُ

6 فَيَا أَيُّهَا القَاضِي الْمُبَجَّلُ وَالَّذِي
مَوَارِدُهُ من سري (39) البَارِدِ العَذْبُ

7 وَمَنْ دَانَ أَرْبَابُ الْعُلُومِ بِأَسْرِهِمْ
لَهُ بِصَرِيحِ الرِّقِّ وَهْوَ لَهُمْ رَبُّ

8 أُعِيذُكَ أَنْ تَرْتَابَ أَنَّنِيَ الذِي
أَتَى سَابِقًا وَالْكُلُّ يَنْجُرُ أَوْ يَحْبُو

9 وَمِثْلِي إِذَا جَدَّ الرِّجَالُ وَأَتْعَبُوا
نُفُوسَهُمُ سَعْيًا وَكَدَّهُمُ الخَطْبُ

(37) هذه الجملة المقدمة للناسخ . والقصيدة أشار إليها جل من ترجم لابن حزم واختلفوا في طولها إلا أنهم لم يذكروا منها إلا 13 بيتا في الجملة سنشير إليها في موضعها .

(38) كذا في الأصل .

(39) كذا في الأصل .

10 تَقَدَّمَ سَبْقًا ثَانِيًا مِنْ عِنَانِهِ
وَغَادَرَ مَنْ جَارَاهُ فِي رَهْجِهِ يَكْبُو

11 أَمِثْلُكَ يَعْشُو عَنْ مَكَانِي وَيَمْتَرِي
بِأَنِّيَ مِنْ أَفْلاَكِ ذَا الأَدَبِ الْقُطْبِ

12 أَيَخْفَى عَلَيْكَ الْبَدْرُ لَيْلَةَ تَمِّهِ
وَلَمْ يَسْتَتِرْ عَنْكَ الْبَيَازِكُ وَالشُّهْبُ

13 وَأَنْتَ الذِي يَلْقَى الْخَفِيَّاتِ ظَاهِرًا
بِعَيْنِ نُهًى لَمْ تُرْجَ مِنْ دُونِهَا الْحُجْبُ

14 فَكَيْفَ بِمَا وَازَى الْجَهُولَ تَمَكُّنًا
ذُوُو الْعِلْمِ فِيهِ وَاسْتَوَى السُّودُ وَالصُّهْبُ

15 وَحَاشَايَ أَنْ يَمْتَدَّ زَهْوٌ بِمَنْطِقِي
وَأَنْ يَسْتَفِزَّ الْحِلْمَ فِي قَوْلِيَ الْعُجْبُ

16 وَلَكِنَّ لِي فِي يُوسُفَ خَيْرَ أُسْوَةٍ
وَلَيْسَ عَلَى مَنْ بِالنَّبِيِّ ائْتَسَى ذَنْبُ(40)

17 يَقُولُ وَقَالَ الْحَقُّ وَالصِّدْقُ إِنَّنِي
حَفِيظٌ عَلِيمٌ مَا عَلَى صَادِقٍ عَتْبُ

18 فَلَوْ كُسِيَ الْفُولاَذُ حِدَّةَ خَاطِرِي
تَسَاوَى لَدَيْهِ اللَّحْمُ وَالْحَجَرُ الصُّلْبُ

19 وَلَوْ كَانَ لِلنِّيرَانِ بَعْضُ ذَكَائِهِ
وَفَاضَتْ عَلَيْهِ لُجَّةُ الْبَحْرِ لَمْ يَخْبُ

20 وَمَا اخْتَصَّ عِلْمٌ دُونَ عِلْمٍ بِوِجْهَتِي
بَلَى مَسْرَحِي فِي كُلِّهَا الوَاسِعُ الخَصْب

(40) هذا البيت والذى يليه مما ذكره أصحاب التراجم .

21 تَظَلُّ فُنُونُ العِلْمِ تَجْلَى إذَا غَدَتْ
بِأَيْدِي رِجالٍ وَهيَ مَنْجُولَةٌ غَصْبُ/ص65

22 وَمَا عَزَّنِي وَالحَمْدُ لِلَّهِ مَطْلَبٌ
مِنَ العِلْمِ مِمَّا أَبْقَتِ العُجْمُ وَالعُرْبُ

23 حَلِيفِي وَمُحْيِي هِمَّتِي وَمُنِيرُهَا
وَرَافِعُ ذِكْرِي حَيْثُمَا اتَّصَلَ الرَّكْبُ

24 وَأَنْسِيَ مُذْ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ حِجَّةً
أَرُوحُ وَأَغْدُو وَهْوَ صَارِمِيَ الْغَصْبُ

25 وَخِطَّتِيَ العُلْيَا الَّتِي لَسْتُ أَتَّقِي
حَيَاتِيَ مِنْهَا العَزْلُ مَا رَتَعَ الضَّبُّ

26 وَمَالٌ عَمِيمٌ لَسْتُ أَخْشَى نَفَادَهُ
بِإِنْفَاقِهِ لاَ بَلْ يَزِيدُ وَيَنْصَبُّ

27 سَمَوْتُ بِنَفْسِي لاَ بِمَجْدٍ هَوَتْ بِهِ
مِنَ الزَّمَنِ العَدَّاءِ آلاَتُهُ الحُدْبُ

28 عَلَى أَنَّنِي لَوْ شِئْتُ قُلْتُ مُصَدَّقًا
وَأَقْبَحُ قَوْلٍ مَا أَلَمَّ بِهِ الْكَذْبُ

29 وَلَكِنَّهُ مَنْ لَمْ يُشِدْ مَا حَلاَ لَهُ
رَغَا فِي مَبَانِيهِ وَضَعْضَعَهَا السَّقْبُ

30 فَإِنْ شِئْتَ فِي عِلْمِ الدِّيَانَةِ تَلْقَنِي
نِقَابًا لَهُ لَمْ يَخْفَ عَنِّي لَهُ نَقْبُ

31 وَأَمَّا أَفَانِينُ الْحَدِيثِ فَإِنَّنِي
أَنَا بَحْرُهَا الطَّامِي وَيُنْبُوعُهَا السَّكْبُ

32 وَقَيَّدت مِنْ فُتْيَا ذَوي الْفِقْهِ ضَابِطًا
بِحِفْظِيَ مَا طَالَتْ بِهِ قَبْلَهَا الحِقْبُ

33 وَإِنْ لاَذَ طُلاَّبُ الْكَلاَمِ بِجَانِبِي
فَإِنِّيَ سَاقِيهِمْ وَكُلُّهُمُ شَرْبُ

34 وَعِلْمِي بِمَا فِي سِرِّ خَصْمِي كَعِلْمِهِ
فَمَا غَابَ عَنِّي مِنْهُ سَهْلٌ وَلاَ صَعْبُ

35 وَإِنْ تُذْكَرِ الأَشْعَارُ لَمْ يَاكُ خَارِجًا
أَمَامِي جَرِيرٌ فِي الرِّهَانِ وَلاَ كَعْبُ

36 وَمَا ضَرَّ شِعْرِي ان منو شهر والذي (41)
وَلَمْ يَحْظَ بِي عِلْمًا تَمِيمٌ وَلاَ كَلْبُ

37 وَأَمَّا تُسَائِلْ بِاللُّغَاتِ وَنَحْوِهَا
فَمَا صَارِمِي فِيهَا إِذَا عُدَّتْ يَنْبُو

38 وَمَا إِنَّ شَأْنِي عِنْدَ ذَلِكَ سَابِقٌ
عَلَى أَنَّنِي لَمْ يُغْرِنِي التَّعْبُ وَالوَطْبُ

39 وَحَسْبُكَ بِي فِي ذِي الأَعَارِيضِ مَمْنَعًا
إِذَا عُدَّتِ الأَوْتَادُ وَالشَّطْرُ وَالضَّرْبُ

40 وَإِنْ شِئْتَ أَخْبَارَ الدُّهُورِ فَإِنَّنِي
أَنَا جَامِعُ التَّارِيخِ مُذْ نَبَتَ الهُضْبُ/ص66

41 فَمَا غَابَ عَنِّي أَمْرُ مَلْكٍ مسوره (42)
وَلاَ شَذَّ دُونِي أَمْرُ سِلْمٍ وَلاَ حَرْبُ

(41) كذا في الأصل .
(42) كذا في الأصل .

42 سَـوَاءٌ عَلَى ذِكْرِي قَرِيبٌ وَنَازِحٌ
وَمَنْ حَمَلَتْ أَرْضٌ وَمَنْ ضَمَّهُ التُّرْبُ

43 وَإِنْ تُذْكَرِ الأَنْسَابُ كُنْتُ نَقِيبَهَا
وَلَمْ يَخْفَ عَنْ ذِكْرَايَ حَيٌّ وَلاَ شِعْبُ

44 وَلَوْ أَنَّ رُسْطَالِيسَ حَيٌّ بَدَدْتُهُ
وَمَا عَاشَ إِلاَّ وَهْوَ لِي بِالْحَرَى تِرْبُ

45 يُسَافِرُ عِلْمِي حَيْثُ سَافَرْتُ ظَاعِنًا
وَيَصْحَبُنِي حَيْثُ اسْتَقَلَّتْ بِيَ الرَّكْبُ

46 مَحَلَّتُهُ صَدْرِي وَمَسْكَنُ عُمْرِهِ
بِحَيْثُ الْتَقَى مِنِّي التَّرَائِبُ وَالتِّرْبُ

47 إِذَا مَا الجَنُوبُ اسْتَوطَأَت فِي ضِجَاعِهَا
فَعَنْهُ نَبَا عَن مَضجَعِي مِنِّيَ الجَنْبُ

48 أَنَا الشَّمْسُ فِي جَوِّ العُلُومِ مُنِيرَةٌ
وَلَكِنَّ عَيْبِي أَنَّ مَطْلَعِيَ الْغَرْبُ

49 وَلَو أَنَّهُ مِن جَانِبِ الشَّرقِ طَالِعٌ
لَجَدَّ عَلَى مَا ضَاعَ من ذِكْرِيَ النَّهْبُ

50 وَلِي نَحْوَ أَكْنَافِ العِرَاقِ صَبَابَةٌ
وَلاَ غَرْوَ أَن يَسْتَوحِشَ الكَلِفُ الصَّبُّ

51 فَإِن يُنْزِلِ الرَّحْمَانُ رَحْلِيَ دُونَهُم
فَحِينَئِذٍ يَمْضِي التَّأَسُّفُ وَالكَرَبُ

52 فَكَم قَائِلٍ أَغْفَلْتُهُ وَهْوَ حَاضِرٌ
وَأَطْلُبُ مَا عَنْهُ تَجِيءُ بِهِ الكُتْبُ

(43) من بيت 48 ، 11 بيتا مما ذكره أصحاب الترجم .

53 هُنَالِكَ يُدرَى أنَّ لِلْبُعْدِ قِصَّةً
وَأَنَّ فَسَادَ العِلْمِ آفَتُهُ القُربُ

54 فَيَا عَجَبًا مَن غَابَ عَنْهُم تَشَوَّقُوا
لَهُ وَدَنَوْا لِمُزْمِنِ (44) دَرَاهِمْ ذَنْبُ

55 وَإِنَّ مَكَانًا ضَاقَ عَنِّي لَضَيِّقٌ
عَلَى أنَّهُ فَيْحٌ مَدَاهِبُهُ سُهْبُ

56 وَإِنَّ رِجَالاً ضَيَّعُونِي لَضُيَّعٌ
وَإِنَّ زَمَانًا لَمْ أَنَلْ خِصْبَهُ جَدْبُ

57 وَلَوْ إِنَّنِي خَاطَبْتُ فِي النَّاسِ جَاهِلاً
لَقِيلَ دَعَاوٍ لاَ يَقُومُ لَهَا طُنْبُ

58 وَلَكِنَّنِي خَاطَبْتُ أَعْلَمَ مَنْ مَشَى
وَمَنْ كُلُّ عِلْمٍ فَهْوَ فِيهِ لَنَا حَسْبُ

59 يُصَدِّقُنِي فِي وَصْفِهِ كُلُّ سَامِعٍ
يَقِينًا وَلاَ يَأْبَى لِسَانٌ وَلاَ قَلْبُ

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .... (بَيْتٌ مُفْرَدٌ) (45) :

(طويل)

1 كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنٌ وَلَمْ يَكُ فُرْقَةٌ
إِذَا كَانَ مِنْ بَعْدِ الفِرَاقِ تَلاَقِ /ص 67

(44) كذا في الأصل .
(45) عبارة للناسخ . وهو البيت الوحيد الذي ورد في الغزل من بين هذه المجموعة .

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (بسيط)

1 بَلَغْتُ مِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا ذُرَى أَرَبِي
فِي لَذَّةِ العَيْشِ وَالسُّلْطَانِ وَالنشَبِ

2 فَأَذْهَبَتْ دُوَلُ الأيام مَنْزِلَتِي
وَزَادَ فَقْدِيَ اللذَّات فِي كَرَبِي

3 وَكَانَ مَالِي لِهَذَا كُلِّهِ تَبَعًا
بَلْ صَارَ عَوْنًا لأَعْدَائِي عَلَى طَلَبِ

4 لَكِنْ رَجَعْتُ وَقَدْ جَدَّ الزَّمَانُ إِلَى
كَنْزٍ مِنَ العِلْمِ وَالأَخْلاَقِ وَالأَدَبِ

5 فَأَعْجَزَ الدَّهْرَ أَنْ يُؤْذَى بِوَاحِدَةٍ
مِنْهَا وَأَقْصَرَ عَنِّي وَاهِيَ السبَبِ

6 لاَ أَخْتَشِي تَضَعُ الأيامُ مَنْزِلَتِي
مَدَى الزَّمَانِ وَعِنْدِي أَغْلَبُ الطلَبِ

7 لاَ يَسْتَطِيعُونَ عَزْلِي عَنْ وِلاَيَتِهَا
إِذْ كُلُّ وَالٍ لَهُمْ بِالْعَزْلِ فِي العُقَبِ

8 هَذَا بِلاَ كُلْفَةٍ مِنِّي وَلاَ حَرَسٍ
وَلاَ عَدِيدٍ وَلاَ إِنْفَاقِ مُكْتَسَبِ

9 وَكَمْ أَخٍ لِيَ مِصْقَعٍ غَيْرِ مِضْطَرِبٍ
لأَنَّ مَا فِيهِ آخَى غَيْرُ مِضْطَرِبِ

10 وَكُلُّ مَنْ كَانَ فِي دُنْيَايَ يَصْحَبُنِي
نَادَيْتُهُ حِينَ خَانَتْنِي فَلَمْ يُجِبِ

11 كَلاَمُ مَنْ جَرَّبَ الأَمْرَيْنِ وَانْفَتَحَتْ
له المَذَاهِبُ من جِدٍّ وَمن لَعِبِ/ص 140

12 أنَا ابْنُ مَنْ دَبَّرَ الدنْيَا بِخَاتَمِه
عِشْرِينَ عَامًا وَعَشْرٌ بَعْدُ لَمْ يَرَب

13 وَإنَّ مَنْزِلَتِي فِي العِلْمِ مَنْزِلَةٌ
فِي المُلْكِ خَطٌّ كَخَطّ الصَّادِقِ النسَب

14 مَا زِلْتُ أدْخِرُهُ دَهْرِي وَأنْفِقُهُ
كَفِعْلِه فِي اللجَيْنِ المَحْضِ وَالذَّهَب

15 وَإنَنِي لَبَخِيلٌ بِالسلاَمِ إذَا
بَخِلْتُ بِالْعِلْمِ مِنْ لَفْظِي وَمِن كُتُبِي

16 لَوَاسْتَطَعْتُ مَنَحْتُ النَاسَ كُلَّهُمُ
مَا قَدْ تَجَمعُ فِي حَفْظِي وَفِي كَسَبِي

17 أ أبْذُلُ المَالَ يُفْنِيهِ البَذْلُ حَاصِلَهُ
وَلَسْتُ أبْدِلُ مَا يَنْمِي عَلَى النهَب

18 وَكَيْفَ أسْتُرُ مُعْلِي رُتْبَتِي أبَدًا
وَمَنْ يُخَلِّدُ ذِكْرِي آخِرَ الحِقَب

19 وَمَنْ يُكَثِّرُ لِي أهْلِي وَيَجْعَلُنِي
صَدِيقَ مَنْ شِئْتُ مِنْ عُجْمٍ وَمِن عَرَب

20 أنِيسُ رُوحِي إذَا مَا الدَّهْرُ أوْحَشَنِي
وَنُورُ عَقْلِي وَجَالِي غُمةَ النكَب

21 سَائِلْ بِأيّ عُلُوم العَالَمِينَ تَجِدْ
عِنْدِي يَنَابِيعَ ذاكَ العِلْم مِنْ كُتُب

22 لاَ أنْثَنِي لِسِوَى البُرْهَانِ أسْأَلُهُ
وَلاَ إلَى (46) مَقَال البَاحِث اللجِبِ

(46) كذا في الأصل .

23 لَكِنْ إذَا أشْكَلَتْ دُنْيَا مُعَضِّلَةٌ
قَابَلْتُهَا بِسِنَا ذِهْنِي وَحَسْبُكَ بِي

24 مِنْ فِكْرَتِي لِيَ عَيْنٌ لاَ تَغِيضُ وَمِنْ
مَاضِي لِسَانِي مَا يَمْضِي مَضَى الشُّهُبِ

25 فَإنْ أضَفْتُ إلَى ذَا الحَظّ مِنْ عَمَلِي
شَيْئًا أفُوزُ بِهِ فِي يَوْمِ مُنْقَلَبِ

26 فَقَدْ حَصُلْتُ عَلَى الآمَالِ أجمَعِهَا
وَخَابَ مَنْ فِي سِوَى ذَا كَانَ ذا تَعَبِ

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

(طويل)

1 وَيَوْمٍ كَحَدّ السَّيْفِ لَيْسَ بِثَابِتٍ
عَلَيْهِ جَلِيدٌ لاَ وَلاَ مُتَجَلِّدُ

2 لَقِيتُ شِبَاهُ وَهْوَ خَمْرٌ مُؤَجَّجٌ
وَأقْلَعْتُ عَنْهُ وَهْوَ فَخْرٌ مُخَلَّدُ

3 أمُورٌ كَأمْوَاجِ البُحُورِ تَصَادَمَتْ
عَلَيْهِنَّ سِرْبَالٌ مِنَ اللَّيْلِ أكْبَدُ

4 عَبَأتُ لَهُ جِسْرًا مِنَ الحَزْمِ مُحْكَمًا
وَمِصْبَاحَ رَأيٍ نُورُهُ يَتَوَقَّدُ /ص 141

5 فَأفْقَدتُهُ غَرقَاهَا . وَنَوَّرتُ لَيْلَهَا
وَقَرَّبْتُ مِنْهَا كُلَّ مَا كَانَ يَبْعُدُ

6 سَأفْنَى فَهَل حَي عَلَى الأرض خَالِدٌ
وَيَنْقُلُ عَن يَومِي وَعَن أمْسِيَ الغَدُ

7 أحَاديث فِي جِيدِ الزَّمَانِ نِظَامُهَا
وَمِنْهَا عَلَى الدنْيَا نِثَارٌ مُبَدَّدُ

8 لَهَا غُرَّةٌ فِي صَفْحَةِ الدَّهْرِ وَسْمُهَا
وَفِي عَاتِقِ الأيَّام سَيْفٌ مُقَلَّدُ

9 وَطَالَبْتُ نَهْجًا لَيْسَ يَصحَبُنِي بِهِ
مِنَ النَّاسِ إلاَّ الفَاضِلُ الْمُتَجَلِّدُ

10 فَأخْسِسِ بِدُنْيَا نِلْتُهَا وَمُشَارِكِي
لَدَيْهَا خِسَاسٌ فِي القَبَائِحِ دُرَّدُ

11 وَأنْبِلْ بِحَالٍ أهْلُهَا كُلُّ رَاغِبٍ
كِرَامُ المَسَاعِي وَهْوَ فِي الفَضْلِ يَزْهَدُ

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (47) :

(بسيط)

1 لَم أشْكُ صَدًّا وَلَم أذعَر بِهُجْرَان
وَلاَ شَعَرْتُ مَدَى دَهْرِي بِسُلْوَانِ

2 أسْمَاءُ لَم أدر مَعْنَاهَا وَلاَ خَطَرَت
يَومًا عَلَيَّ وَلاَ جَالَت بِمَيْدَانِي

3 لَكِنَّمَا دَائِيَ الأدْوَى الذي غَضِبَتْ
عَلَيَّ أرْوَاحُهُ قِدْمًا فَأعْيَانِي

4 تَمَرَّقَ لَمْ تَزَلْ تَسْرِي طَوَارِقُهُ
إلَيَّ بِجَامِعِ أحْبَابِي وَخِلاَّنِي

(47) هذه آخر قصيدة وردت في مجموعة الأشعار .

5 كَأنَّمَا البَيْنُ بِي يَأتَمُّ حَيْثُ رَأى
لِي مَذْهَبًا فَهْوَ يَبْلُونِي وَيَغْشَانِي

6 قَدْ كُنْتُ أحْسِبُ عِنْدَيَ النَّوَى جَلَدًا
إذَا عَنَى فِي بَوَادِي شَجْوهَا العَانِي

7 فَقَابَلَتْنِي بِأَلْوَانٍ غَدَوْتُ بِهَا
مُقَابَلاً مِنْ صَبَابَاتِي بِأَلْوَانِ

8 بِاللَّه أنْسَى أخًا لِي قَدْ لَهِجْتُ بِهِ
نَفْسِي تُحَدِّثُنِي أنْ لَيْسَ يَنْسَانِي

9 فَإنْ يَكُنْ فِيه ظَنِّي صَادِقًا فَلَقَدْ
عَهِدتُّ ظَنِّي قَدِيمًا غَيْرَ خَوَّانِ

10 هَذَا عَلَى قِسْمَةِ الأيَّام لَيْسَ عَلَى
أنِّي أخَافُ عَلَيْه طَبْعَ نِسْيَانِ

11 قَدْ كُنْتُ أَلْقَى زَمَانِي مِنْهُ مُدَرَّعًا
عَلَى تَغَوُّل أيَّامِي وَأزْمَانِي

12 درْعًا يَقُولُ الرَّدَى مِنْ أجْلِهَا حَذَرًا
ما شأنُكَ اليَوْمَ يا هَذَا وَمَا شَانِي/ص 142

13 فَالآنَ أظْلَمَتِ الدُّنْيَا لِغَيْبَتِه
فَاللَّيْلُ عِنْدِي وَغَيْرُ اللَّيْل سِيَانِ

14 وَحُقَّ لِي ذَاكَ إذْ فِي كُلِّ شَارِقَةٍ
كَانَتْ تَلُوحُ لِعَيْنِي مِنْهُ شَمْسَانِ

15 فَالآنَ أعْدَمَنِي أضْوَاهُمَا قَدَرٌ
تَجْرِي بِأحْكَامِهِ فِينَا الجَدِيدَانِ

16 لَكِنَّنِي قَائِلٌ قَوْلاً يُحَقِّقُهُ
كُلُّ البَرِيَّةِ عَنْ نُورٍ وَبُرْهَانِ

17 عَجِبْتُ مِنِّي إِذَا أَشْكُو تَوَحُّشَهُ
وَأَسْفَحَ الدَّمْعُ سَحًّا غَيْرَ ضِنَانِ

18 وَوَجْهُهُ نُصْبَ عَيْنِي مَا يُفَارِقُنِي
وَطَيْفُهُ مُؤْنِسِي فِي نِصْفِهِ الثَّانِي

19 وَمُهْجَتِي عِنْدَهُ وَالقَلْبُ مَسْكَنُهُ
هَذَا وَجَدَّكَ عَيْنُ الحَاضِرِ الدَّانِي

20 وَشَخْصُهُ مَاثِلٌ فِي نَاظِرِي أَبَدًا
وَفِي ضَمِيرِي إِذَا مَا نِمْنَ أَجْفَانِي

21 أَدْعُوهُ دَعْوَةَ مُرْتَاحٍ لِرُؤْيَتِهِ
حَسْبَ ارْتِيَاحِي لَهُ إِذْ كَانَ يَلْقَانِي

22 يَا عُذْرَ دَهْرِيَ مِنْ مَاضِي إِسَاءَتِهِ
وَمِنْ تَسَاوِي وَلِيِّي فِيهِ وَالشَّانِي

23 كِلاَهُمَا حَاسِدٌ لِي مِنْ أُخُوَّتِهِ
عَلَى غَلاَ الدَّهْرِ مَوْصُولاً بِرُضْوَانِ

24 قَدْ كَانَ مِنْكَ فُؤَادِي حَاسِدًا بَصَرِي
وَالآنَ يَحْسُدُ فِيكَ القَلْبَ عَيْنَانِ

25 حَتَّى لَقَدْ صَارَ دَهْرِي فِيكَ يَحْسُدُنِي
فَبَانَ عَنِّيَ مَغْلُوبًا وَأَنْآنِي

26 عَذِرْتُ فِيكَ لَعَمْرِي كُلَّ ذِي حَسَدٍ
مَنْ لَيْسَ يُحْسَدُ فِي دُنْيَا سُلَيْمَانِ

27 وَحُقَّ لي عُذْرُهُمْ إذ صِرْتُ أعْرِفُ مِقْـ
ـدَارَ الـذي مِنْكَ كَـانَ اللَّـهُ أوْلاَنِـي

28 لَقَدْ حَبَانِيَ حَظًّا مِنْ إخَائِكَ لاَ
يُجْزَى بِسِتْـرٍ وَلاَ يُلْقَى بِكُفْرَانِ

29 لَوْ كانتِ الأرْضُ لِي حاشَاهُ مَا غَنِيَتْ
رُوحِي وَإنِّي بِهِ عَنْ غَيْرِهِ غانِي (48)

30 شَخْصٌ نَفِيسٌ خَطِيرٌ لَوْ بَدَلْتُ بِهِ
نَفْسِي أخَذْتُ الذِي يَبْقَى علَى الفَانِي

31 ذَاكَ الذِي لَسْتُ أدْرِي مَا أقَابِلُهُ
بِهِ مِنَ الشَكِّ فِي سِرِّي وَإعْلاَنِي

32 وَاسْلَمْ وَدُمْ لِيَ فِي عِزٍّ وَفِي دَعَةٍ
مَا لاَحَ فِي اللُّجَّةِ الخَضْرَاءِ نَجْمَانِ

ـ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَصَلاَتُهُ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ وَعَلَى آلِهِ وَعِتْرَتِهِ الطَّاهِرَةِ (49)/ص 143 .

(48) كذا في الأصل .
(49) هذه عبارة ختمت المجموعة كاملة .